

12-1-2020

## Dialogue in the Quran: Types, Controls and Objectives: كيف حاور القرآن: دراسة في الأنواع والضوابط والأهداف

Mohammed Semi  
*Sharjah University*

Man Baker  
*Zayed University*

Mohamed Sharei Abouzeid  
*Zayed University*

Follow this and additional works at: <https://zuscholars.zu.ac.ae/works>



Part of the [Social and Behavioral Sciences Commons](#)

---

### Recommended Citation

Semi, Mohammed; Baker, Man; and Abouzeid, Mohamed Sharei, "Dialogue in the Quran: Types, Controls and Objectives: 2020) (كيف حاور القرآن: دراسة في الأنواع والضوابط والأهداف). *All Works*. 1255.  
<https://zuscholars.zu.ac.ae/works/1255>

This Article is brought to you for free and open access by ZU Scholars. It has been accepted for inclusion in All Works by an authorized administrator of ZU Scholars. For more information, please contact [scholars@zu.ac.ae](mailto:scholars@zu.ac.ae).

## كيف حاور القرآن: دراسة في الأنواع والضوابط والأهداف

### DIALOGUE IN THE QURAN: TYPES, CONTROLS AND OBJECTIVES

**Mohammed Semi'**

College of Sharia and Islamic Studies,  
Sharjah University, United Arab Emirates (UAE)  
E-mail: dr.semai\_m@yahoo.fr

**Man Baker**

College of Humanities and Social Sciences  
Zayed University, United Arab Emirates (UAE)  
E-mail: man.baker@zu.ac.ae

**Mohamed Abouzeid**

College of Humanities and Social Sciences  
Zayed University, United Arab Emirates (UAE)  
E-mail: Mohamed.abouzeid@zu.ac.ae

### الملخص

أسلوب الحوار هو أحد الأساليب المبتكرة في النص القرآني الكريم، ولم يكن أسلوباً معهوداً في الكلام العربي، وقد برز بوضوح في قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وبهذا الأسلوب الفريد ارتقى القرآن العظيم بأفهام العرب إلى مستويات عالية في البحث والمناظرة، ووضع أسس هذا الفن الذي لم يألفه العرب من قبل بعثة خاتم الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويهدف هذا البحث إلى دراسة واستقصاء أنواع الحوار القرآني، وأهدافه وضوابطه، كما ظهرت في آيات القرآن الكريم، حاول الباحثون من خلاله الكشف عن أبرز الضوابط والأسس التي تكفل نجاح الحوار، وترتقي به إلى المستوى الذي يُؤهله لأن يكون وسيلة ناجعة في حلّ الأزمات وعلاج المشكلات؛ وتبرز أهمية البحث في حاجة المسلمين اليوم إلى ترسيخ أسس الحوار البناء فيما بينهم، وأسس الجدل والمناظرة مع أتباع الملل الأخرى. والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، يجمع أبرز الحوارات الواردة في القرآن، ثم تقسيم هذه الحوارات إلى أنواع، ثم وضع الأسس والضوابط المؤثرة في توجيه الحوار وإنجاحه. وقد خلصت الدراسة إلى أن الحوار هو أسلوب دعوي قرآني أصيل؛ وهو لا يعني التلقين برأي أو فكر معين من جانب واحد، وإنما يعني أن يُعلن كل طرف عن رأيه، ويأتي كلٌ بدليله الذي يُؤيده، وهو ما يؤدي إلى تحقيق التقارب والتجانس بين المختلفين، شريطة الالتزام بأداب

الحوار، وحسن العرض والاستدلال والبيان. ومن أهم النتائج أيضًا أنّ للحوار النّاجح عوامل كثيرة، وفي مُقدّماتها: الاعتراف بأنّ الخلاف سنّة من سنن الله في خلقه، والاعتراف بأنّ العمل على الاتفاق فريضة من فرائض الدّين لتحقيق مفهوم الأّمة الواحدة، والرجوع إلى الأصول وعدم الجدل في الفروع، والانطلاق من نقاط الاتّفاق لا نقاط الاختلاف، والانطلاق من المقاصد لا من الوسائل.

كلمات مفتاحية: الحوار، الجدل، القرآن

### ABSTRACT

The dialogue style was one of the innovative methods in the noble Qur'an text, that wasn't common in Arabic speech; it had clearly emerged in the stories of the prophets, peace be upon them with their people, whereby through this unique method the Holy Qur'an had raised Arab understandings to high levels in research and debate, and laid the foundations of this art which The Arabs were not familiar with before the Qur'an revelation. This research aims to study and investigate the types of Quranic dialogues, its objectives and controls, as it has appeared in the verses of the Noble Qur'an, through which the researchers have attempted to uncover the most important controls and foundations that ensure the success of the dialogue, in order to be effective in resolving crises and in treating problems. The importance of this research is evident in the need for Muslims today to consolidate the foundations of constructive dialogue among themselves, and the foundations of debate with the followers of other denominations. The methodology that has been used in this research is the inductive analytical method, i.e. by collecting most of the dialogue patterns that are mentioned in the Qur'an, categorising them, and laying down the foundations and controls that influence the direction of the dialogue and its success. The study concluded that the dialogue is an authentic Quranic advocacy method. It does not mean indoctrinating a specific opinion or thought from one side, rather it influences each party to declare their opinion, and come with their evidence. This leads to achieving rapprochement and homogeneity among the opponents, that is provided that the etiquette of dialogue is adhered to and is well presented. Among the most important results is that a successful dialogue has many factors, at the forefront of which are recognition that disagreement is of the Sunnah of Allah in His creation, and the recognition that working towards an agreement is an obligation to achieve the concept of a single nation, and to refer to the principles rather than disputing the branches, as well as to start from the points of agreement and not the points of difference, focusing on the purposes not the means.

**Keywords:** Quran, Dialogue, Debate

## 1. المقدمة

أتى القرآن الكريم بأفانين من الكلام غير معهودة عند العرب، فقد انحصر كلامهم في الشعر والنثر، ثم إن النثر كان حُطْبًا أو أسجاعًا، والتزم العرب في الشعرِ والخطابةِ أساليبَ متشابهة،<sup>1</sup> ومن الأساليب المبتكرة التي لم يعهدها العرب أسلوب الحوار، الذي برز في قصص الأنبياء، وكذلك في مناقشات عقائد المكذّبين بالقرآن من العرب.

وقد نقل الحوار القرآنيّ العرب المخاطبين بالقرآن إلى مستوياتٍ رفيعةٍ في الحوار والمناظرة، حيث سجّل نماذج نقيّةً وساميةً من حوارات الأنبياء، ومن مجادلة المكذّبين، تؤصّل لبناء الحوار والمناظرة على المنطق السليم، والأصول العقلية المعتمدة، فشكّل بذلك أداةً مهمّةً لترقية الفكر بين أفراد الأمة، كما أنه يُعدّ وسيلةً مهمّةً لتذكير الناس بالمبادئ والأصول والأدبيات الإسلامية، ورقعةً تداوله واسعةً جدًّا.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن أبرز الضوابط والأسس التي تكفل نجاح الحوار، وترتقي به إلى المستوى الذي يُؤمّله لأن يكون وسيلةً ناجعةً في حلّ أزمت الأمة العربية والإسلامية وعلاج مُشكلاتها؛ ونحن المسلمين اليوم بحاجة أشدّ من أيّ وقت مضى إلى حوار بناء مع أنفسنا ومع غيرنا؛ وذلك من شأنه أن يُوجنا إلى معرفة المسلك السويّ القويم الذي يأخذ بنا إلى الرقيّ والنجاح، ويبعد بنا عن أسباب الفشل والانهيار.

أهمية الموضوع: والحديث عن الحوار في القرآن الكريم وضوابطه ذو أهمية بالغة؛ ويمكننا أن نجمل ذلك في التّقاط التّالية:

أ. أهمية الحوار من حيث ذاته؛ وغير خاف أنّ القرآن الكريم أمر المؤمنين به باعتماد الحوار أسلوبًا للوصول إلى المخالفين، وجعل أسلوب الدّعوة إلى الإسلام قائمًا على الحوار بالحكمة والجدال بالأسلوب الأحسن؛ كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ب. أنّ الإنسان مهما بلغ من العلم؛ فهو في حاجة إلى أن يستنير برأي غيره، وسبيل ذلك الحوار المنضبط؛ فالحوار مُهمٌّ في اكتشاف الحق؛ كما أنه مُهمٌّ في اكتشاف فهم المخالف بما يُعين على توجيهه أو تصحيحه إذا كان مخطئًا، وقبول قوله إن كان مُحقّقًا.

ج. أنّ الحوار الموجه سبيلًا لا غنى عنه لتوسيع المدارك؛ فكلّما احتلّت السّعة في الفكر والمنهج في واقع الأمة مساحةً أكبر وحيثًا أوسع؛ كلّما اتّسعت آفاق التّقارب والاتحاد، وانحسرت مظاهر الفرقة والاختلاف.

<sup>1</sup> انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/١٠٤.

والمنهج المُتَّبَع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، فقد قمنا بجمع أبرز ما ورد بشأن الحوار مع الآخر في القرآن، والاستفادة من ذلك في وضع أسس وضوابط مؤثرة في توجيه الحوار وإنجاحه؛ والتزمنا الاختصار والإيجاز ما أمكن حسبما يقتضيه المقام.

## 2. مفهوم الحوار مع الآخر

كلمة الحوار في اللغة مُشتَقَّة من تحاور القوم؛ أي تراجعوا الكلام بينهم، والحوار: هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء؛ يُقال: حار إلى الشيء وعنه حوارًا ومحارًا ومحاورًا وحُورًا: أي رجع عنه وإليه؛ ومنه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ إِلَّا حَارَتْ عَلَيْهِ»<sup>2</sup>؛ أي رجع إليه ما نسب إليه غيره<sup>3</sup>.

ومنه الدعاء المأثور: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ»<sup>4</sup>؛ أي من النقصان بعد الزيادة؛ وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها؛ وقيل: من الرجوع عن الجماعة بعد أن كُنَّا منهم<sup>5</sup>؛ ومنه التَّحَاوُرُ الواردُ في قول الله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: 34]؛ أي يراجعه الكلام<sup>6</sup>.

وأما الحوار في الاصطلاح: فقد عرّفه البعض بأنه: وسيلة تُستخدم الإقناع الذاتي لتمحيص الأفكار والمعلومات السابقة واختبارها بطريقة غير مُباشر للتأكد من صحتها أو خطئها<sup>7</sup>.

والحوار مع الآخر في القرآن الكريم: أسلوبٌ قرآنيٌّ يمتاز عن غيره بنقل المعلومة لا بطريق الخبر؛ وإنما من خلال السؤال والجواب، وعرض الآراء المتفكّقة أو المختلفة؛ الأمر الذي يُعطي الإطار الذي تُنقل به المعلومة حيويّةً تُثير أذهان السامعين، وتدفعهم إلى تمحيص الأفكار ومحاكمتها عقليًّا؛ من أجل الوصول إلى حقيقة من الحقائق التي لا تحتل الشكّ ولا التقد ولا الجدل<sup>8</sup>.

والحوار مختلف عن بعض الألفاظ التي قد تستخدم هنا بطريق البدل، كالمجادلة أو المناقشة. فالجدل والحوار قد يلتقيان في أن كلاً منهما الكلام مع الآخر ومخاطبته في أمر مشترك، لكن الجدل يحمل معنى الشدة والخصومة

<sup>2</sup> مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (2010)، صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (79/1). والحديث في كتب الإيمان، باب: بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم (61).

<sup>3</sup> ابن منظور محمد بن مكرم (1993)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، (217/4).

<sup>4</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، رقم: (1343)، (979/2).

<sup>5</sup> التووي، يحيى بن شرف (1392هـ)، شرح صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (111/9).

<sup>6</sup> الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، (1998)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الرياض: مكتبة العبيكان، (586/3).

<sup>7</sup> الهاشمي، عبد الحميد، (1981)، الرسول العربي المرئي، دمشق: دار الثقافة للجميع، ص85.

<sup>8</sup> الزبون، أحمد (2007)، الحوار التربوي في السنة النبوية، ورقة قدمت في مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة، جامعة اليرموك: الاردن، (54/2).

أكثر، بخلاف الحوار الذي يكون مقصوده إظهار الحق وبيانه في أسلوب محب ومقنع للسامع، ويكون الحق فيه هو المقصد للطرفين المتحاورين، وليس إفحام الخصم وإسكاته كما في الجدل فهو مشتق من الجدل، وهو شدة الفتك، والجدال أو الجدل هو شدة الخصومة، و المجادلة هي المنازعة، لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم، ولذلك رأينا القرآن الكريم ينهى عن الجدل في تسعة وعشرين موضعاً، ولم يأمر بها إلا في ثلاث مواضع، وكلها شرطها بالحسنى، كقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وكذلك المناقشة أو المناظرة، والتي تدل على المحاسبة وتعزية أخطاء الطرف الآخر لبيان قوة الحجة التي يستند إليها المتكلم، وهي وإن كانت وسائل لبيان الحق يمكن استخدامها في مواضع معينة يحكمها الزمان والظرف، إلا أن الحوار أشمل منها وأعم، وهذا يمكن أن يدرك من الحروف المكوّنة لكلمة (الحوار) والتي يسهل على اللسان نطقها من مخارجها، بخلاف النقاش والجدل، والتي تضم حروف كالجيم والشين والذين يدلان على الشدة والجزالة<sup>9</sup>.

وتميل هذه الدراسة إلى أن الحوار هو نوع خاص من بيان الحجة والبرهان له شرائط وأدوات وأهداف، بمجموعها تشكل حالة نفسية هادئة يمكن من خلالها عرض الأقوال والحجج دون إثارة الطرف الآخر أو انتقاصه أو تسفيهه، وهو ما شكل ميزة خاصة لحوارات القرآن الكريم.

### 3. أنواع الحوار في القرآن الكريم<sup>10</sup>

ورد الحوار في القرآن الكريم على أنواع مختلفة وأشكال متعدّدة؛ وذلك تابعٌ للغرض الذي يُساق من أجله؛ وفيما يأتي ذكرٌ لأهمّ هذه الأنواع:

#### أ. الحوار التعبدّي:

والمراد به جملة الأسئلة التي وجهها القرآن الكريم للمُكلّفين قاصداً بما أن تتجاوب قلوبهم وتتفاعل مشاعرهم وعواطفهم مع مضامينها؛ ومن ذلك ما رواه أبو داود عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجلاً يُصلّي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]. قال: سُبْحَانَكَ؛ فبلى؛ فسألوه عن ذلك؛ فقال: سمعته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>11</sup>.

<sup>9</sup> زمزمي، يحيى بن محمد (1994)، الحوار: آدبه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ص6. وانظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي (1998)، في أصول الحوار، ص11.

<sup>10</sup> السقار، منقذ بن محمود، الحوار مع أتباع الأديان، مشروعيته وآدابه، جدة: رابطة العالم الإسلامي، ص25.

<sup>11</sup> أبو داود، سليمان بن الأشعث (1431هـ)، سنن أبي داود، بيروت: المكتبة العصرية، (1/233). والحديث في كتاب الصلاة، باب الدّعاء في الرّكوع، رقم: (884).

ووجه التعمد في مثل هذه الأسئلة أن المكلف مأمورٌ بالإجابة عن هذه الأسئلة ولو في قرارة نفسه؛ فقد روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»<sup>12</sup>.

والقرآن يثير هذه الأسئلة في نفوس السامعين من أجل أن يتجاوبوا معها ويستحضروها بقلوبهم؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه على ذلك تعليماً عملياً؛ فقد روى النسائي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة؛ فافتتح بآل عمران يقرأ مترسلاً؛ إذا مرّ بآية فيها تسبيحٌ سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذٍ تعوذ<sup>13</sup>.

ومن الأغراض التي من أجلها تُساق هذه الأسئلة الحوارية في القرآن الكريم: دفع السامع إلى تقويم سلوكه بما يوافقها؛ وذلك نتيجة طبيعية للقناعة الفكرية الناشئة عن أسلوب الحوار؛ فالذي يستجيب لسؤال ربّه فيما يتعلق بوعده ووعيده؛ حريٌّ به أن يستجيب بسلوكه؛ ولذلك لما نزلت آية تحريم الخمر وحثمت بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]؛ لم يجد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بُدّاً من التجاوب معها؛ حتى قالوا بملء أفواههم: انتهينا، انتهينا<sup>14</sup>.

## ب. الحوار التذكيري:

وهو الحوار الذي يُراد به تذكير المخاطب بشيء غفل عنه ونسيه، أو تظاهر بجحوده وإنكاره؛ ومن ذلك خطاب القرآن الكريم للمؤمنين به بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [٥٨] ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ [٥٩] نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ [٦٠] عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ [٦١] وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ [٦٢] أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ [٦٣] ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ [٦٤] لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكُهُونَ [٦٥] إِنَّا الْمَغْرُمُونَ [٦٦] بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ [٦٧] أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ [٦٨] ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ

<sup>12</sup> الترمذي، محمد بن عيسى (1975)، سنن الترمذي، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، (399/5). والحديث في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرحمن، رقم (3291).

<sup>13</sup> النسائي، أحمد بن شعيب (1986)، السنن الصغرى، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، (225/3). والحديث في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب تسوية القيام والركوع، رقم 1(664).

<sup>14</sup> الترمذي، سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم: (3049)، (253/5).

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعَالٍ الْمُقْمِينَ ﴿٧٣﴾ ﴿[الواقعة: ٥٨ - ٧٣].

وهذا الضرب من الحوار له أثر نفسي عميق؛ فهو يُوقظ في النفس عاطفة العرفان بالجميل المترتب عليه عاطفة الخضوع والانقياد للأمر، الذي يدفع المكلف إلى التطبيق.

ونظراً لأهمية هذا الأسلوب الحواري التذكيري؛ فقد أكدّه القرآن الكريم عندما خاطب الرسول محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿الْمُرْجِدُكَ يَتِيمًا فَتَوَّيْ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾﴾ [الضحى: ٦ - ٨]؛ والإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي القيام بحق هذه النعم بعد شكر المنعم عليها، فأمره بعدها: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ٩ - ١١] <sup>15</sup>.

### ج. الحوار التنبهّي

وهو الحوار الذي يُساق فيه السؤال وجوابه؛ من أجل لفت الأنظار إلى أمر هامّ ثم يُشرح هذا الأمر تاركًا أعظم الأثر في السامعين؛ ومن ذلك قوله: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَزْكَرَتْ ﴿٣﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٤﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة: ١ - ٤]؛ وتكرّر ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم.

وقد اتخذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الأسلوب منهجًا في تعليم أصحابه وتربيتهم وترسيخ المعاني في أذهانهم؛ ومن ذلك ما رواه مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أتدرون ما المفلس؟». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إنّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته؛ فإن فُتيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم؛ فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار» <sup>16</sup>.

وهذا النوع من الحوار يمكن اعتباره بحقٍّ أحد المناهج التعليميّة؛ ولذلك فقد اعتمدهته جلُّ المدارس المعاصرة؛ وقد سبق القرآن الكريم إلى هذه الطريقة بخمسة عشر قرنًا، كما يرى الباحث محمد سبتان، إذ يقول: «فإذا كانت المدرسة الحديثة تستخدم طريق الاستجواب لتثبيت المعلومة؛ فإنّ الإسلام قد وضع هذا الأسلوب منذ خمسة عشر

<sup>15</sup> انظر: الزبون، الحوار التربوي في السنة النبوية، ص 14

<sup>16</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البرّ والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: (2851)، (1997/4)

قرناً من الزمان، وشتان ما بينهما؛ فالمدرسة الحديثة: الاستجواب فيها مقصورٌ على أمور علمية جافةً بظنٍ أو يقين؛ لكن الحوار القرآني والنبوي يُجدد أفكار السامعين بأمر يقينية جديدة موجهة لهم الأخذ بخيرها وترك شرها»<sup>17</sup>.

#### د. الحوار الوصفي

وهو حوارٌ يقوم على أساس إثبات وصف حي لحالة نفسية أو واقعية لمن يُوجه إليهم الحوار بقصد الاقتداء بالصالحين، واجتناب الطالحين؛ ومن ذلك قوله خطاب القرآن للمؤمنين، ومعاينة بعضهم على التردد في النفي مع النبي صلى الله عليه وسلم، وتفضيلهم القعود مع أهلهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٨ - ٣٩].

ويرى الباحثان الزبون وسبتان أن هذا النوع من الحوار من شأنه أن يترك في نفوس المخاطبين بالقرآن أثراً وجدانياً؛ يُنمي العواطف الخيرة، والسلوكات الفاضلة، فهو حوارٌ يعتمد استئثار العواطف الإنسانية والانفعالات الوجدانية من أجل الانتقال بالنفس مما هي عليه إلى ما هو أفضل وأحسن<sup>18</sup>.

والقصْدُ بمثل هذا الأسلوب: إثارة الاستعداد الوجداني كلما تكررت مناسبة تُشبه المناسبة أو الموضوع الذي أثار الانفعال؛ كاستعداد المؤمن للتضحية من أجل عقيدته الراسخة، وحماسته لتحقيق أوامر ربه الذي يؤمن به، والغضب من أجله؛ وليس يخفى ما للعاطفة الفعالة من أثر في تقويم سلوك صاحبها.

#### هـ. الحوار القصصي

وهو نوعٌ من الحوار يأتي على صورة قصة واضحة في تسلسلها القصصي، تشوق السامع لمعرفة أحداث القصة، وصولاً إلى الدروس والعبر التي أسفرت عنها تلك الواقعة، والأمثلة على هذا الأسلوب الحوارية في القرآن الكريم كثيرة؛ ولعل من أظهر أمثلة الحوار القصصي ما حكاها الكتاب الكريم من قصة الخصمين اللذين تسورا المحراب على النبي داود عليه السلام في قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٦١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴿٦٢﴾ قَالُوا لَا تَحْفَظْ خَصْمَانِ بَعَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٦٣﴾﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ

<sup>17</sup> سبتان، محمد حسن محمد، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام؛ ص 30. (كتاب منشور على: <https://waqfeya.com/book.php?bid=7513>، تاريخ الاسترداد 2020/10/29).

<sup>18</sup> الزبون، الحوار النبوي في السنة النبوية، ص 16. وسبتان، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام، ص 34.

وَتَسْعُونَ نَجْةً وَلِي نَجْةٌ وَحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ [ص: ٢١ - ٢٤]

ويرى الأستاذ الشيخ عبد الكريم الخطيب أن الحوار يُكسب القصص القرآنيَّ جمالاً ورساقاً، وحسناً متجدداً، لا يملُّه النَّظَرُ ولا تزهده فيه النفس، لأنَّ العمل القصصي بدون الحوار يتحول إلى كتلة باردة من الكلمات، لا رُوح فيها.<sup>19</sup>

ويقرر الخطيب أن القرآن الكريم قد ذهب بالأسلوب الحوارية كل مذهب، ولوَّنه بألوان مختلفة حسب مقتضى الحال، فجاء منه المِجْمَلُ والمفصَّلُ، والطويل والقصير، من غير إخلالٍ بالعرض الذي تساق له القصة في موضعها.<sup>20</sup>

و. الحوار الجدي<sup>21</sup>:

والحوار بالجدل يُعدُّ من أبرز أنواع الحوار القرآنيّ، وهو حوارٌ يقوم على النقاش والجدل الموجه، ويهدف إلى إثبات الحجة على المخالفين للاعتراف بضرورة الإيمان بالله وعبادته، والاعتراف باليوم الآخر وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلّم وببطلان آلهتهم، وصدق ما أتى به.

ومن أمثلة هذا النوع ما قصَّ القرآن الكريم من محاوره إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه آزر؛ حيث يقول له وهو يحاول أن يُرهن له على بطلان ما هو عليه من عقائد الكفر والإشراك بالله: ﴿يَتَّابِتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ مريم: ٢٤ - ٤٥

ومن هذا القبيل أيضاً؛ مجادلته للتمرد الذي ملك الدنيا في زمانه؛ وفيه يقول الكتاب الحكيم: ﴿الْمَرْتَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمَلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي

<sup>19</sup> الخطيب، عبد الكريم (١٩٧٥)، القصص القرآني في منظوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، بيروت: دار المعرفة، ص ١٢٣.

<sup>20</sup> المرجع نفسه، ص ١٢٤.

<sup>21</sup> الجدلي من الجدال؛ وهو في اللغة مأخوذ من شدة القتال، يقال: جدلتُ الحبل أجدله جدلاً إذا شددت فتله، وفتلته فتلاً محكماً؛ انظر: ابن منظور، لسان العرب، (103/11). وهو في الحقيقة: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بوجهة أو شبهة، ويقصد به تصحيح كلامه؛ ويكون في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وإظهار الحق، وإلزام الخصم؛ انظر: الجرجاني، علي بن محمد (1983)، التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 74.

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ومن أهم ما يُميّز الحوار الجدلي الذي حكاه القرآن الكريم على لسان من ذكّر من الأنبياء أنهم لا يتوقفون عند قضية واحدة إذا جحدها المخالف أو أنكرها؛ وإنما ينتقلون عنها إلى ما لا يمكن إنكاره.

#### ز. الحوار التعريضي:

هذا النوع من الحوار يكون فيه تعريضٌ بأصحاب السلوكات غير المرضية والخصال المنبوذة؛ وذلك بوصف حالتهم وضعفهم وسوء واقعهم، وتهديدهم بالعذاب والعقاب إذا أبوا الرجوع عنه؛ كقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنُرِيهِهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [مريم: ٧٧ - ٨٠].

ويُعتبر هذا الأسلوب طريقة تلقين غير مباشر؛ وهو أشد تأثيراً في كثير من الأحيان من التلقين المباشر. والمقصود الأعظم من مثل هذا النوع من الحوار تسليئة أصحاب السلوك الصالح وتقوية عزائمهم، وإيدان لهم بأن يحتقروا صفات المشركين وأعمالهم، وإيقاظ انفعال الاشمئزاز من باطلهم وكفرهم؛ حتى تُصبح هذه الانفعالات عاطفةً متأصلة في نفس المتعلم عن طريق التكرار<sup>22</sup>.

#### 4. أهداف الحوار كما دلت عليه السياقات القرآنية

يمكن القول بأن الحوار واحدٌ من أهم الأساليب الدعوية التي أصّلها القرآن الكريم، وأمر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن تبعه في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ والجدال المأمور به في الآية إن كان في الخير؛ فإنه يعني بلا شك الحوار الإيجابي المثمر؛ وذلك أمرٌ محمودٌ مطلوبٌ؛ بخلاف الجدال الذي يقصد به الانتصار للباطل، والدفاع عن الضلال، وتفريق كلمة أهل الحق؛ فهو من قبيل الحوار المدموم المرفوض.

فالحوار أسلوبٌ مهمٌ من أساليب الدعوة؛ وله أهداف كثيرة؛ منها:

أ. الأهداف العاطفية: وذلك بإثارة عواطف السامعين والمتعلمين وتحريك انفعالاتهم الوجدانية؛ لما يترتب على ذلك من آثار تربوية؛ تتمثل في انقياد المتعلم للسلوك الحسن والعمل الصالح.

<sup>22</sup> سبتان، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام، ص 32.

وتظهر الأهداف العاطفية في الآيات القرآنية: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٣١].

ف نجد الحوار الذي يثير الوجدان، ويحث السامعين على أخذ القرآن، والاستعداد لحساب يوم الدين في النص القرآني الذي يصورُ حال من أعرض عنه يوم القيامة، واتبع سبيل الشيطان، وهكذا فإن القرآن يهزُّ القلوب هزًّا بهذه المشاهد المزلزلة، التي تُجسِّم مصيرهم المخيف، وتريهم إيَّاه واقعًا مشهودًا... والهولُ المرعب ينتظرهم هناك، والندم الفاجع بعد فوات الأوان.

ب. الأهداف التعليمية: فقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار التربوي في مواضع مختلفة لتوضيح كثير من الأمور التي قد تُشكل على السامع ويعجز عن فهمها والوقوف على معانيها؛ وذلك من خلال التركيز على أسلوب طرح السؤال للكشف عن مدى فهم السامع ومعرفته، ثم يتولى القرآن الإجابة عليها، أو يوكل ذلك إلى نظره العقلي لوضوح الأمر بعد التنبيه عليه بالسؤال.

فمن ذلك معالجة الكتاب الكريم للغبية، يجد القارئ أنّ القرآن يستخدم الأسلوب الحواريّ في تربية المؤمنين وتنقيتهم من هذه الآفة السلوكية؛ وذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

ج. الأهداف التنويرية: حيث سعى القرآن الكريم إلى تنوير العقول عن طريق المقارنة بين الحقّ والباطل، والخطأ والصواب؛ لأنّ الأشياء تتبيّن بضدّها، فوجود الشرّ مثلاً يُشعرُ النَّاسَ بقيمة الخير، وحلول الظلام يُدكّرُ بأهمية النور.

ومن أمثلة الحوار التنويريّ ما جاء في القرآن الكريم من قوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ ءَٰوِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا خَلْقَهُ فَشَبَّهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

فالحوار أهميّة لا تُنكر من أجل اختصار المسافة بين صواب المصيب وخطأ المخطئ؛ فليس من سبيل إلى ذلك إلا الحوار وتقليص نقاط التباين، عندما يسلم القصد ويتجرّد المتحاورون لطلب الحقّ.

د. الأهداف التربويّة<sup>23</sup>: فمن شأن الحوار أن يكوّن في النفس اتجاهًا وميلاً عقليًا إلى أهمية الحوار وضرورته في الحياة والممارسات اليومية عندما نختلف مع من نتعامل معهم من الأسرة والأصدقاء وسائر أفراد المجتمع؛ فيؤدي ذلك التوجّه إلى انتشار ثقافة الحوار في المجتمع، وترقي ممارسات أفرادها السلوكيّة، ويتدرّبون على المهارات الحوارية المختلفة. وبعتماد الحوار وسيلةً للتواصل وحلّ المشكلات والنزاعات والصراعات بين الأفراد؛ يُمكن توفير الكثير من الوقت والجهد؛ وذلك حيثُ ينشأ كلُّ فرد من المجتمع على الاهتمام برأي غيره، والتأدّب بحُسن الاستماع له واحترامه، ويتروّض على الاستعداد لتغيير وتطوير أفكاره، فالحوارُ البناء له دورٌ مهمٌ في اختصار المسافات وتقليص نقاط التباين والاختلاف ما أمكن بين المتحاورين.

ويمكن القول: بأنّ نشر ثقافة الحوار أحد أهداف ورود هذا الأسلوب في القرآن الكريم؛ فهو المنوط به فهم كلّ من المتحاورين مُنطلقاً محاوره ومُستوّغات مواقفه؛ وعندما يغيب الحوار تتحوّل الأمور إلى الهواجس والظنون والشكوك والتصدّعات؛ والحوار من شأنه أن يُزيل تلك الهواجس والظنون أو يقلّلها في أسوأ الأحوال.

## 5. ضوابط الحوار مع الآخر في القرآن الكريم

لقد رسّخ القرآن الكريم جملةً من المبادئ والقواعد التي من شأنها إن التزم بها المؤمنون به أن يحقق حوارهم ثمرته المرجوة، ومن هذه الضوابط:

### الضابطُ الأوّل: المحاوره بالحسنى

دعا القرآن أتباعه إلى الحوار بالحسنى، ومجادلة الآخرين بالأدب، فقال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ وقال أيضاً: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]؛ ولم يرتض القرآن الكريم لأتباعه المنهج الحسن في الحوار؛ بل المنهج الأحسن؛ وفي الإشارة إلى ذلك يقول الإمام القشيري: «ينبغي أن يكون منك للخصم تبيينٌ، وفي خطابك تليينٌ، وفي قبول الحقّ إنصافٌ، واعتقادُ النصرة — لما تراه صحيحاً — بالحجّة، وتركُ الميل إلى الشّيء بالهوى»<sup>24</sup>.

<sup>23</sup>فالتعليمية القصد منها الإرشاد والبيان، بينما التعليمية هي في السلوك والممارسة

<sup>24</sup> القشيري، عبد الكريم بن هوزن (2000)، لطائف الإشارات، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (100/3).

بل طلب القرآن الكريم من المسلمين أن يكون هذا منهجهم في حوارهم وحديثهم كلّ في جميع الظروف والأحوال؛ فقال: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

والسبب الذي يُرجع إليه القرآن الكريم الأمر بالجدال بالحسنى أن الرسالة التي يحملها جاءت للناس كافة، والناس يختلفون في أذواقهم وآرائهم، تبعاً لاختلاف بيئاتهم ونشأتهم؛ وقد قرّر القرآن الكريم أنّ الخلاف بين الناس سنة ربّانية جُبلوا عليها، فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨﴾ [الأنعام: ١١٨] «إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» [هود: ١١٨ - ١١٩]؛ وفي تقرير ذلك المعنى يقول الإمام الشاطبي: «فأخبر سبحانه أنّهم لا يزالون مختلفين أبداً، مع أنّه قد خلقهم للاختلاف، وهو قول جماعة من المفسرين» (25).

فليس المراد بالاختلاف: الاختلاف في الصور والألوان والأشكال، وإنما المراد الاختلاف في الآراء والتحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بما يسعد الإنسان به أو يشقى في الدنيا والآخرة، ويُظهر ذلك بوضوح وجلاء قوله في الكتاب الحكيم: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]

### الضابط الثاني: اللين وخفض الجناح

وقد قرّر الكتاب الحكيم هذا الضابط في قصة موسى وفرعون؛ حيث أمر موسى وأخاه هارون -عليهما السلام- لما أرسلهما إلى فرعون وقومه قائلاً: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْتَشَى ٢٤٤﴾ [طه: ٢٤٤]. قال القرطبي: «القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه... فإذا كان موسى -عليه السلام- أمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً؛ فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه؛ وقد قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ١٨٣]» (26).

25 الشاطبي؛ إبراهيم بن موسى (1982)، الاعتصام، بيروت: دار المعرفة، (165/2).

26 القرطبي؛ محمد بن أحمد (١٩٥٠)، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، (٢٠٠/١١).

وقد أُرشد رسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى فضيلة الرفق واللين في الأمور كلها، فكان هو منهج الإسلام في التعامل مع الناس في كل شؤون الحياة؛ ففي الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»<sup>27</sup>.

### والمراد باللين في هذا المقام أمران:

– **الأول لين اللفظ:** بأن يكون لطيفاً جداً مُستميلاً لسامعه، بعيداً عن التّفحش والطّعن والتّجريح، ملتزماً بكلّ مظاهر الأدب؛ وقد قرر ذلك الكتاب الكريم في مواضع عديدة منها قوله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقوله: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، كما نفى رسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المؤمنين ما ينافي هذا الأدب، فيما روى عنه الترمذي بسند صحيح أنه قال: «ليس المؤمن بالطّعان، ولا باللّعان، ولا الفاحش ولا البذيء»<sup>28</sup>.

– **الأمر الثاني: لين المضمون:** وذلك بالجُحُوح إلى التّرجيب والبُعد عن التّرهيب ما أمكن؛ فإنّ الإنسان بطبعه يستجيب للأول ويتفاعل معه أكثر من تفاعله مع الثاني؛ وقد قدّم القرآن التّبشير على التّحذير في أكثر المواضع، ومنها قوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]؛ ولذلك كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر أصحابه بالتّبشير والبُعد عن التّنفير ما أمكن؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره؛ قال له: «بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا»<sup>29</sup>؛ وذلك لأنّ التّنفير يزرع في نفوس الناس نوعاً من احتقار الدّات، وضرباً من الضّيق من سماع من يحاورهم؛ ومنطق الحقّ والاعتدال يقتضي أن نضع كلّ أمرٍ في إطاره الطبيعيّ وحجمه المعقول.

وقد أثر هذا النهج في أتباع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانوا يرون اللين والرفق في الوعظ أقوم طريق إلى إصلاح الناس؛ قال الحسن البصري: قال بعض أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده إن أحبّ عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنّصيحة»<sup>30</sup>.

<sup>27</sup> الدارمي، أحمد بن حبان، (1988)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، بيروت: مؤسسة الرسالة، (312/2). والحديث في كتاب البرّ والصّلة، باب: الرّفق، رقم: (551).

<sup>28</sup> الترمذي، سنن الترمذي، كتاب: البرّ والصّلة، باب: اللّعة، رقم: (1977)، (350/4).

<sup>29</sup> مُسلّم، صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتّيسير وترك التّنفير، رقم: (1732)، (1358/3).

<sup>30</sup> السّقاريني، محمد بن أحمد (1996)، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، بيروت: دار الكتب العلميّة، (65/1).

وقد ذكر الإمام الغزالي قصةً مما يُذكر في بيان أهمية مُراعاة هذا المعنى؛ أنّ واعظاً وعظ الخليفة العبّاسيّ المأمون، وعَنف له في القول؛ فقال له الخليفةُ وكان عاقلاً: يا رجل! ارفق؛ فقد بعث الله من هو خيرٌ منك إلى من هو شرٌّ منّي، وأمره بالرفق؛ فقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ وَتَذَكَّرَ أَوْ يَحْتَشَى﴾ [طه: ٤٤] 31.

### الضابطُ الثالثُ: الانطلاق من القضايا المشتركة

إنّ من أهمّ مظاهر الوسطيّة في محاورَة الآخرين؛ الانطلاق من أرضية مُشتركة متّفق عليها، وذلك هو الأسلوب الذي أمر به القرآن الكريم في مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم؛ حيث قال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، قال الزمخشري: «أي مستوية بيننا وبينكم، لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل» 32.

وفي سياق الكشف عن المعنى الذي تقرّر على أساسه لزوم اتّباع هذا المنهج في محاورَة الآخرين ومُناقشتهم؛ يقول الأستاذ الإمام محمد عبده: «المعنى أنّنا نحن وإيّاكم على اعتقاد أنّ العالم من صنع إله واحد، والمتصرّف فيه واحد، وهو خالقه ومدبّره، وهو الذي يعرفنا على السنة أنبيائه ما يُرضيه من العمل وما لا يُرضيه؛ فتعالوا بنا نتّفق على إقامة هذه الأصول المتّفق عليها، ورفض الشبهات التي تعرض لها» 33.

وليس ذلك خاصّاً بأهل الكتاب؛ بل هو منهجٌ عامٌّ في محاورَة أي مخالف، وعلى أيّ دين أو ملة كان؛ وقد دلّ على ذلك حوار القرآن مع الكافرين به من أهل مكة في قوله: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، فبدأ في دعوتهم من الأمر الذي لا يخالفون فيه، وهو أنّ الله هو الربُّ الخالق المدبّر للكون.

31 الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدّين، بيروت: دار الكتب العلمية، (334/2).

32 الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (371/١).

33 رضا، محمد رشيد، (1990)، تفسير القرآن الحكيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (268/2).

كما يؤكد قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَهَدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومِي وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أَحِبُّ أَنْ أَنْكُتُهُ، وَأَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ»<sup>34</sup>؛ أن العمل مع المخالفين فيما يتفق عليه العقلاء من المعروف، كمنع الظلم، ونصرة المظلوم أمرٌ محمودٌ، لا ينبغي لداعية إلى الخير أن يتخلف عنه، قال المناوي: «أي ما يسرني أن يكون لي الإبل الحمر، وهي أعزُّ أموال العرب وأكرمها وأعظمها؛ والحال أي أنقضه... وأصل ذلك: اجتمع بنو هاشم وزهرة وتيمم في دار ابن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طيباً في جفنة، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم فسُموا المطيبين»<sup>35</sup>.

### الضابط الرابع: تجنب استثارة مشاعر العداة لدى الآخر

ومن أبرز مظاهر الوسطية التي جاء بها القرآن الكريم في محاوره الآخرين: تجنب كل ما من شأنه أن يחדش عقائدهم، ويثير مشاعرهم؛ والأصل في ذلك قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108]؛ ويذكر القرطبي في تفسير هذه الجملة أن الله نهى عن سب كل معبود سواه؛ لما في ذلك من إثارة للمشاعر، وتحريك لدواعي الإباء عن قبول الحق والصد عنه؛ ويعلل حكم النهي عن سب أوثان المشركين؛ بأن ذلك يؤدي إلى استثارة عصبيتهم؛ فيسبون الله بغير علم، وينفرون من دعاة التوحيد»<sup>36</sup>.

وللإمام الشوكاني كلامٌ نفيس في تفسير هذه الآية حيث قال رحمه الله: «وفي هذه الآية دليل على أن الداعي إلى الحق والناهي عن الباطل إذا خشي أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرام ومخالفة حق ووقوع في باطل أشد؛ كان الترتك أولى به بل كان واجباً عليه.. وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة ثابتة غير منسوخة، وهي أصل أصيل في سد الدوائر وقطع الترتك إلى الشبه»<sup>37</sup>.

ومما يؤكد ذلك المعنى، ويشهد لتقريره في جملة الأسس التي ينبغي عدم إغفالها في محاوره الآخرين؛ هي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المسلمون بالمدينة عن المفاضلة بينه وبين موسى عليه السلام؛ لمحاوره اليهود لهم آنذاك؛ فقد روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته؛ أعطي بها شيئاً كرهه؛ فقال: لا؛ والذي اصطفى موسى على البشر؛ فسمعه رجل من الأنصار، فقام فلطم وجهه، وقال: تقول والذي اصطفى موسى

<sup>34</sup> الهيتمي، علي بن أبي بكر، (1994)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة: مكتبة القدسي، (172/8). والحديث في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحلف، رقم (١٣٥٨٢).

<sup>35</sup> المناوي؛ عبد الرؤوف (1356هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، (64/4). وانظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد (1979)، النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت: دار الكتب العلمية، (424/1).

<sup>36</sup> القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٦١/7).

<sup>37</sup> الشوكاني؛ محمد بن علي (1414هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والتفسير، دمشق: دار ابن كثير، (171/2).

على البشر، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا؟ فذهب اليهوديُّ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أبا القاسم! إنَّ لي ذمَّةً وعهداً؛ فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال النبيُّ للأَنْصَارِيِّ: «لم لطمت وجهه؟» فَذَكَرَهُ، فغضب النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى رُئِيَ في وجهه، ثمَّ قال: «لا تفضِّلوا بين أولياء الله؛ فإنه يُنفخ في الصُّور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفخ فيه أخرى؛ فأكونُ أولَ مَنْ بُعث، فإذا موسى أخذُ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصقعة يوم الطور، أم بُعث قبلي؟»<sup>38</sup>.

وإنما هُيَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك؛ لِيُعَلِّمَ أُمَّتَهُ الأدب والتواضع، وحُسن التعامل مع النَّاسِ، وإن تعلق الخصامُ بأمر من أمور العقيدة؛ لأنَّ مثل ذلك التفضيل يُؤدِّي إلى الحُجُور، وانتقاص قدر الآخرين، وقد يكون فيهم أصحابُ فضل ودرجة، مثلُ الأنبياء عليهم الصَّلَاة والسَّلَام؛ ولما في التفضيل والمقارنة أيضاً من استثارة للآخرين، وإثارة لعصبيتهم، وفي ذلك ما فيه من إثارة العداوة والفتن<sup>39</sup>.

#### الصَّابِطُ الخَامِسُ: التَّعَاوُنُ فِي المُنْتَفِقِ عَلَيْهِ

ومن الأسُس التي وضعها القرآن معياراً للحوار مع الآخرين؛ التَّعَاوُنُ فِي المُنْتَفِقِ عَلَيْهِ؛ فأمر بذلك في كلِّ ما هو من قبيل البرِّ والعمل الصالح؛ حيثُ قال اللهُ في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢]. وهذا المعنى من المعاني التي قصد القرآن الكريم إلى تقريرها في جملة المبادئ التي يقوم عليها الحوار الإسلامي؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْدَرُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

ولذلك سعى نبيُّ الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أن كَوَّن دولته في المدينة إلى التَّعَاوُنِ مع سَكَّانِ المدينة من اليهود؛ حيثُ جاء في وثيقة المدينة، والتي تعتبر أول دستور للدولة الإسلامية: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم؛ مواليتهم وأنفسهم، عدا من ظلم وأثم؛ فإنه لا يُوتغ<sup>(40)</sup> إلا نفسه وأهل بيته»<sup>41</sup>.

ففي هذه الوثيقة بيانٌ لمُدَى حرص الإسلام على التَّعَاوُنِ مع الآخرين؛ وما حصل بعد ذلك من إيقاع العقوبة باليهود إذاً كان جرّاء ما ارتكبه من نَقْضٍ للعهد بينهم وبين المسلمين، وليس لما هم عليه من ديانة.

<sup>38</sup> البخاري، محمد بن إسماعيل (1422هـ)، صحيح البخاري، بيروت: دار طوق النجاة، (4/159). والحديث في كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، رقم: (3233).

<sup>39</sup> انظر: الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (20/36).

<sup>40</sup> يُوتغ: يهلك.

<sup>41</sup> ابن هشام، عبد الملك بن هشام (1955)، السيرة النبوية، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (1/503).

## الضوابط السادسة: الوسطية والاعتدال

يضيف النص القرآني على الأمة المؤمنة به صفة الوسطية، فيقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]. إنَّ الإنسان خُلِقَ على فطرة سليمة متوازنة، وتُسهم الأفكار التي يتلقاها في نضج هذه الفطرة، أو في انحرافها وتشوُّهها، ومن الأهداف الظاهرة للحوار الذي يرشد إليه القرآن الكريم المحافظة على الفطرة وإنضاجها؛ ولكن حينما يكون الحوارُ نفسه مُشوِّهاً قاصراً عن حقيقة الفطرة؛ فإنَّ نتيجته سوف تكون تشويهاً للفطرة النقية.

ومما يؤكِّد هذا المعنى ويُرسِّخه حديث الفطرة الذي يقول فيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مولود إلاَّ يُولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه»<sup>42</sup>؛ فإذا كان خطابُ الأيوين وتنشئتهما المنحرفه تجعل من المولود شخصاً منحرفاً في دينه؛ فإنَّ الخطاب العام قد يحرف النَّاشئ أيضاً عن الإسلام الصحيح.

نتيجةً للظروف التي تمرُّ بها الأمة العربية والإسلامية اليوم؛ فإنَّ الحوار بحاجة إلى موازنة دقيقة، وتُعدُّ عن التضخيم والمبالغة؛ ولزوم جادة الاعتدال والوسطية في إنتاج التَّصوُّرات وطرحها على عمَّامة النَّاس بمختلف فئاتهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية.

والمتمثل في واقع خطاباتنا وحواراتنا اليوم يلحظ دون إجهاد فكر ونظر الهوة العظيمة بينه وبين الاعتدال والتوسط؛ حيثُ غدا كثيرٌ منها منابع للتَّصوُّرات والأطروحات المنحرفة، والتي لا تمثل في الحقيقة سوى وجهات نظر مُشوِّهة، لا يسندها الشرع ولا العقل على حدِّ السواء.

ويحتاج دعاة الإسلام اليوم إلى إعادة صياغة خطابهم ومحاوراتهم بما يتفق مع الفطرة النقية؛ فلا ينبغي أن يكون خطابهم للنَّاس سبباً في إيقاعهم في الضيق والحرج، وتغييرهم من المنهج الإسلامي القويم؛ وفي الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره؛ قال: «بشروا ولا تُنْفروا، ويسروا ولا تُعسروا»<sup>43</sup>.

## الضوابط السابعة: الواقعية والبعد عن المثالية

ومن الضوابط التي أصلها القرآن الكريم عند محاوراة النَّاس: أن يكون حوارهم باعتبارهم بشراً، يعترفهم الخطأ، ويغلب عليهم السُّهُو، وتأسرهم الشهوة، وتنزع بهم الأعراق والأعراف عن جادة الصواب؛ ولعلَّ هذا المعنى واحداً من

<sup>42</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات؛ هل يُصلَّى عليه؟ رقم: (1358)، (94/2).

<sup>43</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم: (1732)، (1358/3).

المعاني التي قصد القرآن تقيدها في واقع المكلفين عندما يُذكر الناس ببشريتهم في غير ما موضع؛ منها قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدُ﴾ [الكهف: ١١٠] 44.

وبين تعريف الناس بواقعهم وبين تفيرهم وتبيسهم هامش ضيق يجب إدراكه بعناية، وإن التشجيع واللغة اللطيفة والقول اللين تُعتبر السبيل الكفيل باستخراج أنبل ما في نفوس الناس من معاني الاستجابة والاندفاع للعمل الصالح، ويبقى بث روح الأمل والاستبشار بالتقدم والازدهار أقرب إلى روح الشريعة الإسلامية، وأعون للناس على النهوض.

والحوار المتوازن هو الذي يُنشئ النفوس المتوازنة؛ ومهمته الحقيقية تتمثل في أن يمدّ حبل الوصل مع مَنْ نَفَرُوا؛ ليكون عوناً على استمرار الجدل بالحسنى، ليصل طرفا الحوار إلى ما فيه خيرهم.

### الضابط الثامن: التأثير والإقناع

يُشكل التأثير والإقناع مقصداً رئيساً للحوار في القرآن الكريم؛ فهو يُرشد في كثير من آياته إلى اختيار أفضل الأساليب للوصول إلى القلوب والتأثير فيها؛ ولذلك فقد أمر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يلتزم هذا المعنى في دعوته؛ فقال عز وجل: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم؛ وبالغ في وعظهم إلى المقصود مؤثراً فيهم 45.

ويرى الباحث محمد راشد يماس أنّ بساطة التفكير لدى العامة من الناس تجعل الطريق إلى تغيير سلوكهم يمر أساساً عبر القلب وليس العقل؛ فلغة المشاعر والعواطف مفهومة لديهم أكثر من لغة المنطق والبراهين، ومن المهم لكسب عقولهم أن نكسب قلوبهم، وهذا يتطلب أن يكونوا أثناء مخاطبتهم في وضع نفسي مريح 46.

وللوصول إلى الإقناع والتأثير يحتاج المحاور أن يمتلك قدرًا غير قليل من الحماسة والعاطفة الجياشة لمقولاته؛ لأنه يسهل عليه التأثير في عواطف من يُجاوره، كما يجب عليه عندما يُجاور غيره أن يكون وفيًا أمينًا للحقائق التي يوردها، والأدلة والبراهين التي يستند إليها، حريصًا على نفع غيره حتى يستطيع كسب القلوب التي يحاول التأثير فيها.

### الضابط التاسع: الوضوح والظهور

44 انظر: الصوّيان، أحمد عبد الرحمن (1992)، الحوار أصوله المنهجية وأدابه السلوكية، الرياض: دار الوطن، ص ٩٢ وما بعدها.

45 ابن كثير، تفسير ابن كثير، 347/2.

46 يماس، محمد راشد (1999)، فنون الحوار والإقناع، بيروت: دار ابن حزم، ص 22.

من المهم أن يكون خطابُ المحاور واضحًا في غاية الوضوح؛ وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم في مواضع كثيرة؛ منها قوله تعالى وهو يُبين مهمّة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. ولكون الوضوح والظهور من أهم الأدوات التي تكفل للحوار نجاحه؛ فقد سأل موسى عليه السلام ربه عندما أرسله أن يُطهر لسانه من العيب الذي أصابه في صغره؛ فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [٢٥] وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [٢٦] وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّي لِسَانِي﴾ [٢٧] يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [٢٨] [طه: ٢٥ - ٢٨].

ويبين بماس أهمية الوضوح والبيان في الخطاب بقوله: «إِنَّ اللّغَةَ نَاقِلٌ غَيْرُ كَفَاءٍ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَالنَّاسُ حِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامًا؛ فَإِنَّهُمْ يَفْهَمُونَهُ فِي ضَوْءِ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ خَلْفِيَّاتٍ مَعْرِفِيَّةٍ؛ بَلْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقْرَأُونَ تِلْكَ الْخَلْفِيَّاتِ وَيُلَوَّرُونَهَا عَوْضًا عَنِ الْاِشْتِغَالِ بِفَهْمِ مَا سَمِعُوهُ»<sup>47</sup>.

ومن هنا؛ فإنّه من المفيد أن يحرص المخاطب على التأكّد من فهم الناس لما يقوله؛ على الوجه الذي يقصد إليه ويريده، كتبسيط المعاني قدر الإمكان، والبعد عن العبارات المركّزة، والاستعانة في توصيل المعلومة بضرب المثل؛ فإنّ ضرب المثل ينقل الإدراك من معالجة أمرٍ معنويٍّ إلى معالجة أمرٍ ماديٍّ ملموس، وإدراك المحسوس أسهل بكثير من إدراك المجرد والمعنوي، وتكرار ما يحتاج إلى تكرار<sup>48</sup>. كما ويُعتبر البعد عن الخلافيات والتفريعات: من أهم ما ينبغي للمحاور تجنبه؛ خصوصًا مع العوام؛ فإنّ إثارة ذلك مع العامي يؤسّس لديه عقليّة التساهل، ويُربك وعيه، ويتسبّب في إدخال الأوهام عليه؛ لعدم معرفته بموارد الخلاف وأسبابه الموضوعيّة.

## 6. الخاتمة

ومما سبق عرضه، وتيسر إيراده، يمكن الركون إلى النتائج الآتية:

أ. أنّ الحوار مطلبٌ شرعيّ دعا إليه القرآن الحكيم؛ وهو المنوط به فهم كلّ من المتحاورين مُنطلقات الآخرين ومسوّغات مواقفهم، وعندما يغيب الحوار تتحوّل الأمور إلى الهواجس والظنون والشكوك والتصدّعات، والحوار أسلوبٌ دعويّ قرآنيّ أصيل؛ وهو لا يعني التلقين برأيٍ أو فكرٍ مُعيّن من جانب واحد، وإنما يعني أن يُعلن كلّ طرف عن رأيه، ويأتي كلٌّ بدليله الذي يُؤيّده، وينتصر له بما يراه مُناسبًا.

ب. أنّ للحوار فوائد جليّة؛ من أعظمها تحقيق التّقارب والتّجانس بين المختلفين، شريطة الالتزام بأداب الحوار، وحسن العرض والاستدلال والبيان؛ فبذلك تُصقل الملكات وتُوضّح المشكلات وتتقدّم الأمتة خطوة إلى الأمام.

<sup>47</sup> بماس، فنون الحوار والإقناع، ص. 35.

<sup>48</sup> الميلاد، زكي (1994)، الوحدة والتعددية والحوار في الخطاب الإسلامي، بيروت: دار الصّفوة، ص. 43.

ج. أنّ الإنسان مهما بلغ من العلم؛ فهو في حاجة إلى أن يستنير برأي غيره؛ والحوار مُهمٌّ في اكتشاف الحق؛ كما أنّه مُهمٌّ في اكتشاف فهم المخالف بما يُعين على توجيهه أو تصحيحه؛ وهو مُهمٌّ لإزالة أو تقليل كثير من صور البغي والعدوان التي تقع بين المتخالفين؛ وهو مُهمٌّ لرسم سياسة التعاون بين الهيئات والمؤسسات الإسلامية وغيرها؛ إذ به تتضح المناهج والقدرات ومجالات العمل فيتم التنسيق المثمر؛ وهو قبل ذلك وبعده: صورةٌ من صور النصيحة التي يجب بذلها للناس كافةً.

د. أنّ للحوار الناجح عوامل كثيرة، وفي مقدّماتها: الاعتراف بأنّ الخلاف سنّة من سنن الله في خلقه، والاعتراف بأنّ العمل على الاتفاق فريضةٌ من فرائض الدّين لتحقيق مفهوم الأمة الواحدة، والرجوع إلى الأصول وعدم الجدل في الفروع، والانطلاق من نقاط الاتفاق لا نقاط الاختلاف، والانطلاق من المقاصد لا من الوسائل.

### REFERENCES (المصادر والمراجع)

- [1] Abu Dawud, Solayman bin al-Ash'ath (1431H), *Sunan Abi Dawud*, Beirut: al-Maktaba al-Asriyyah.
- [2] Ad-Darimi, Ahmed bin Hibban (1988), *al-Ihsan Fi Taqreeb Sahih ibn Hibban*, Beirut: Mo'assasat Ar-Risalah.
- [3] Al- Quhsairi, Abdul-Kareem, *Lata'if al-Isharat*, Cairo: al-Haya'h al-A'mma lil-Kitab.
- [4] Al-Bukhari, Muhammed bin Isma'el (1422H), *Sahih Bukhari*, Beirut: Dar Tawq An-Najah.
- [5] Al-Ghazali, Muhamed bun Muhamed, *Ehya'a Oloom Ad-Din*, Beirut: Dar al-kotob al-Ilmiyyah.
- [6] Al-Hashimi, Abdul-Hameed (1981), *Ar-rasoul Al-Arabi Al-Murabi*, Damascus: Dar Ath-Thaqafa lil Jamee'a.
- [7] Al-Haythami, Ali bin Abi Bakr, (1994), *Majma'a Az-Zawa'ed wa Manba'a al-fawa'ed*, Cairo: Maktabat Al-Qudsi.
- [8] Al-Jirjani, Ali bin Muhammed (1983), *At-Ta'reefat*, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- [9] Al-Khatib, Abdul-Kareem (1975), *al-Qisas al-Qura'ni Fi Mantooqih wa Mafhoomih*, Beirut: Dar al-Ma'arifa.
- [10] Al-Meelad, Zaki (1994), *al-Wahda Wat-Ta'dodiyah Wal-Hiwar Fi al-Khitab al-Islami*, Beirut: Dar -al-Safwah.
- [11] Al-Minawi, Abdul-Ra'aoof (1356H), *Faydh al-Qadeer Sharh al-Jamea As-Sagheer*, Cairo: al-Maktaba At-Tijariyyah al-Kubra
- [12] Al-Qurtobi, Muhamed bin Ahmed, (1950), *al-Jame'a li Ahkam al-Qur'an*, Cairo: Dar al-Kotob al-Misriyyah.
- [13] Al-Sa'ati, Ahmed bin Abdel Rahman, *Al-Fath Ar-Rabbani Li Tarteeb Musnad al-'Eman Ahmed Bin Hanbal Ash-Shaybani*, Beirut: Dar 'Ehya'a At-Turath Al-Arabi.
- [14] Al-Saffarini, Muhamed bin Ahmed (1996), *Ghetha'a al-Albab Sharh Manthoomat Al-'Adab*, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.

- [15] Al-Saqqar, Munqeth bin Mahmoud, *Al-Hiwar Ma' Atba'a al-Adyan*, Jeddah: Rabetat al-'Alam al-Islami
- [16] Al-Shatibi, Muhamed bin Ali (1982), *al-Eátisam*, Beirut: Dar -Al-Ma'rifa.
- [17] Al-Shawkani, Muhamed bin Ali (1414H), *Fath al-Qadeer*, Damascus: Dar ibn Katheer.
- [18] Al-Termithi, Muhammed Bin E'isa (1975), *Sonan Titmithi*, Cairo: Babi -al-Halabi.
- [19] Al-Zabboon, Ahmed (2007), *al-Hiwar al-Tarbawi Fi As-Sunna An-Nabawiyyah*, Irbid, Jordan.
- [20] Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar (1998), *al-Kash'af A'n Haqae'q At-Tanzeel*, Riyadh, Maktabat al-A'baikan.
- [21] An-Nadwah al-'Alamiyyah Lish-Shabab al-Islami (1998), *Fi O'soul al-Hiwar*.
- [22] An-Nawawi, Yahia bin Sharaf (1392H), *Sharh Sahih Muslim*, Beirut: Dar -Ihya' At-Turath al-Arabi.
- [23] An-Nisa'ei, Ahmed bin Shoa'yb (1986), *As-Sonan As-Soghra*, Aleppo: Maktabat al-matboo'at al-'alamiyyah.
- [24] Ibn Hisham, Abdel-Malik ibn Hisham (1955), *As-Sira An-Nabawiyyah*, Cairo: Mustafa Babi al-Halabi.
- [25] Ibn Manthoor, Muhammed bin Makram (1993), *Lisan al-Arab*, Beirut: Dar Sader.
- [26] Ibn-al-Atheer, al-Mubarak bin Muhammed (1979), *al-Nihaya Fi Ghariieb al-Hadeeth Wal-Athar*, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- [27] Muslim, Muslim ibn al-Hajjaj, (2010), *Sahih Muslim*, Beirut: Dar Ihya'a At-Thurath al-Arabi.
- [28] Rida, Muhammed Rasheed (1990), *Tafseer al-Qur'an al-Hakeem*, Cairo: al-Haya'h al-A'mma lil-Kitab.
- [29] Sabtan, Muhamed Hasan, *Taqweem Asaleeb Ta'eleem al-Qur'an wa Oloomoh Fi Wasa'el al-E'alam*, (<https://waqfeya.com/book.php?bid=7513>).
- [30] Zamzami, Yahia bin Muhammed (1994), *al-Hiwar: 'Adaboh wa Dhwabito*, Mecca: Dar -At-Tarbiya Wat-Turath.